



الخميس 17 ديسمبر 2009 06:03 م
كتب: بقلم: م / أحمد شوشة

دعوتنا؛ دعوة حبيبة، جميلة، دافئة، حانية، زاكية، راقية، من أحبها امتزجت بها نفسه، وحلقت به إلى أفق رحبة يحار في وصفها الواصفون، وفي بيانها أصحاب البيان.

الله أكبر بسم الله مجربها

تكاد تختال عجبًا في مجاريها

قرت بها أعين طلت ترقبها

واستبشرت أنفوس باتت ترجيها

ولاح جند المعالي في جوانبها

بكل ما ملكت أيديه يفديها

إنها يا أحباب: دعوة الإخوان المسلمين التي في رحابها عرفنا حب الله سبحانه، وحب رسوله وإخوانه من الرسل قبله صلوات الله عليهم وسلامه، وحب هذا الركب عالي الهمة من الصحب الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

هذه دعوتنا التي أطلقت عقولنا وأفكارنا من عقالها، وارتقت بعواطفنا ومشاعرنا من وهديتها، ومهدت لنا طريق العمل الصالح لنهضة أمتنا، إنها- يا أحباب- دعوة الإخوان المسلمين التي أخذت بأيدينا لترتقي بنا إلى جنات عرضها السماوات والأرض.

((إن دعوة الإخوان المسلمين دعوة بريئة نزيهة، وقد تسامت في نزاهتها حتى جاوزت المطامع الشخصية، واحتقرت المنافع المادية وخلفت وراءها الأهواء والأغراض، ومضت قدمًا في الطريق التي رسمها الحق تبارك وتعالى للداعين إليه)).

[دعوتنا: أ/ البنا عليه رحمة الله]

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108]

تعلمنا في جماعة الإخوان المسلمين:

إن جماعة الإخوان مدرسة دعوية تربوية عظيمة، تدعو إلى الإسلام وتربي عليه، كما أنزل على سيد الأنام صلى الله عليه وسلم، ولقد تعلمنا وتربينا في هذه المدرسة على معاني عظيمة كثيرة:

* فقد تعلمنا فيها حقيقة التوحيد وحقيقة العبودية، وتعلمنا القيام بين يدي الله عز وجل نلتوا آيات الله آناء الليل وأطراف النهار،

تعلمنا أن ذل العبودية بين يديه سبحانه وتعالى عز المؤمن وكرامته في الحياة الدنيا والآخرة.

* تعلمنا تزكية النفس وتخليتها من أمراض القلوب من كبر وعجب وحسد وبغض وظلم و... والتخلي بكل ما هو سامي من صدق وتواضع ورحمة ورأفة ووفاء.

* تعلمنا في هذه الدعوة الطيبة المباركة الآداب والأخلاق، وأن هذه الفضائل إنما تؤديها عبودية لله عز وجل، فلا يحق لنا أن نتخلق بها مع خلق دون خلق؛ حتى ولو كانوا على غير ديننا أو بلا دين.

* تعلمنا وعشنا فيها معاني الأخوة الإيمانية الصادقة والحب في الله وكيف يصير الكل في واحد كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وعشنا معنى الأخوة الإسلامية العامة بل والأخوة الإنسانية للناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم.

* تعلمنا في دعوتنا المباركة أن النبوغ في تخصصاتنا المهنية والتعامل الواعي مع ثقافة عصرنا أمر في غاية الأهمية، تعلمنا التوافق بين العقل والدين، بين التقدم المادي، وأشواق الروح؛ بين ثقافة العصر وعلومه ومبادئ الإسلام وشريعته دون تصادم أو تعارض أو إقصاء ولكن في توافق وتكامل وانسجام، بل وبأمرنا ديننا أن نكون في أول ركب الحضارة الإنسانية نقودها لخير البشر جميعًا بهذا التوازن الرباني بين المادة والروح.

* تعلمنا في هذه الدعوة الطيبة التفاعل الإيجابي مع الحياة والإنطلاق في رحابها نتدبر جمال الكون ونتعرف على قدرته سبحانه في الخلق فنسمو الأرواح، وتعلمنا بناء الأجساد على الفتوة والرياضة وتكوين الأسر الصالحة وتربية الأبناء على الفضيلة دون تعارض بين تطلعات النفس وأشواق الروح.

* تعلمنا في هذه الدعوة المباركة حب الوطن والعمل لنهضته ورفعته، دون انتظار أجر أو مثوبة من أحد، وتعلمنا العمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* تعلمنا أن استعادة حقوق الأمة الإسلامية ومقدساتها وتحرير أوطانها فريضة علينا، وأن الطريق لذلك وحدة الأمة تحت راية دينها الإسلام، وتعلمنا أن الثبات على دعوة الحق هو طريق هذه الوحدة المباركة.

* تعلمنا أن العالم في حاجة إلى السلام، وأن الإسلام هو منهاج سعادة البشرية، وأن ديننا يفرض علينا تقديم هذا المنهاج للبشرية لعلها تهتدي بهديه وتسعد في تطبيقه؛ فيعم الرخاء والازدهار والأخوة والوفاق والسلام.

((إن السعادة التي ينشدّها الناس جميعًا إنما تفيض من نفوسهم وقلوبهم ولا تأتيهم من خارج هذه القلوب أبدًا، وإن الشفاء الذي يحيط بهم ويهربون منه إنما يصيبهم بهذه النفوس والقلوب، وإن القرآن يؤيد هذا المعنى ويوضحه ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11] وما رأيت كلامًا أعمق في فلسفه الاجتماع منه قول ذلك الشاعر:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تصيق

اعتقدت هذا واعتقدت إلى جانبه أنه ليست هناك نظم ولا تعاليم تكفل سعادة هذه النفوس البشرية، وتهدي الناس إلى الطريق العملية الواضحة لهذه السعادة كتعاليم الإسلام الحنيف القطرية الواضحة العملية.

[المؤتمر الخامس: البنا عليه رحمة الله]

عاطفة:

أيها الأحباب: إن هذا السلام النفسي الذي يعيشه الأح من الإخوان المسلمين هو نعمة هذه التربية التي تخرج القلب بالحب، فلا يعرف غيره فيفيض على من حوله حبًا وعطفًا ودفنًا ورفقًا وسموًا وعملاً صالحًا، لا يبغى من ورائه منفعة زائلة، وإنما غفران من الله عز وجل ومقام كريم في جنة النعيم.

((ونحب أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا، وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداءً لعزتهم إن كان فيها الفداء، وأن تزهق ثمنًا لمجدهم وكرامتهم ودينهم وأمالهم إن كان فيها الفداء، وما أوقفنا هذا الموقف منهم إلا هذه العاطفة التي استبدت بقلوبنا، وملكت علينا مشاعرنا، فأقضت مضاجعنا، وأسالت مدامعنا. وإنه لعزير علينا جد عزيز أن نرى ما يحيط بقومنا ثم نستسلم للدل أو نرضى بالهوان أو نستكين للباس، فنحن نعمل للناس في سبيل الله أكثر مما نعمل لأنفسنا، فنحن لكم لا لغيركم أيها الأحباب ولن نكون عليكم يومًا من الأيام)).

[دعوتنا: أ/ البنا عليه رحمة الله]

ستعرف الأرض عنا كيف نسعدها

والمكرمات ستدري كيف نحميها

الدين غابتنا والله وجهتنا
ومصر كالشام نردي من يعاديتها
والمسلمون برغم الظلم إخواننا
أخوة سوف تغني من يغانيتها
لا نستطيع هتاء ليس يشملهم
ولا نهش لنعنى لم ينالوها
قد وثق الدين في الدنيا وشائجنا
فمفلس فائل من قام يوهيها
والله أكبر قد بعنا لترضيه
أرواحنا وفناء فيه برضيتها

طبيعة الطريق:

هذه يا أحباب بعض مبادئ وملامح مدرسة الإخوان المسلمين التي تربي عليها الإخوان، وصاروا بها أعلامًا تتحرك في بقاع الأرض قاطبة، يلتف حولهم الناس يسمعون لهم ويستترشدون بهم، ولكن هيهات أن يتركنا الشيطان اللعين دون أن يصد عنا الناس ويمنعهم- إن استطاع- من التواصل مع هذه الدعوة المباركة؛ ولذلك عمل نغته في النفوس الضعيفة ليصدهم عن سبيل الله عز وجل.

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْشُورٌ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ * وَتَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ * تَبَّىٰ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَرُ الرَّجِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: 39-50].

كلمات ثلاث:

ولذلك فهنا كلمات ثلاث واجبة إلى أصناف من الناس ثلاث: واحدة للمتحملمين علينا، وأخرى للغيورين من أبناء الإسلام، وثالثة للإخوان العاملين المجاهدين.

* كلمة للمتحملمين علينا:

لقد أوضح الأستاذ البنا- عليه رحمة الله- أن الناس أمام دعوتنا أربعة: إما مؤمن بدعوتنا فهذا ندعوه أن يبادر إلينا وينضم لنا، وإما متردد فدعوه للاتصال بنا والتعرف علينا فسيطمئن بعد ذلك لنا إن شاء الله تعالى، وإما نفعي فنقول له: حنانيك ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله إن أخلصت، أما الصنف الرابع فهو المتحملم علينا وله يوجه الأستاذ البنا هذه الكلمات:

((وإما شخص ساء فينا ظنه وأحاطت بنا شكوكه وريبة، فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود القاتم، ولا يتحدث عنا إلا بلسان المتحرج المتشكك، ويأبى إلا أن يلج في غروره ويسدد في شكوكه ويظل مع أوهامه، فهذا ندعو الله لنا وله أن يرينا الحق حقًا وبرزقنا اتباعه والباطل باطلاً وبرزقنا اجتنابه، وأن يلهمنا وإياه الرشد، وندعوه إن قبل الدعاء، ونناديه إن أجاب النداء، وندعو الله فيه سبحانه أهل الرجاء، ولقد أنزل الله على نبيه الكريم في صنف من الناس ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: 56] وهذا سنظل نحبه ونرجو فيئه إلينا واقتناعه بدعوتنا، وإنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم من قبل: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".

[دعوتنا: أ/ البنا عليه رحمة الله].

’ وكلمة للغيورين من أبناء الإسلام:

يتحدث الأستاذ البنا عليه رحمة فيقول: لقد أعجبني من صديق دعوته إلى جماعتنا أنه كان يراجعني في كل كلمة، ويقف أمام كل عبارة ويناقش كل وسيلة حتى إذا اقتنعت نفسه قال كلمته فما زالت مرعية الجانب، محققة المعنى، واضحة الأثر، وما زال هو العامل المجدد إلى الآن وأرجو أن يزل كذلك بحول الله تعالى، ولكننا مع هذا نسوق لمثل هذا الأخ الكريم هذه الملاحظات.

م يتحدث الأستاذ البنا- عليه رحمة الله- عن عدة ملاحظات حتى يقول في ملاحظته الأخيرة:

((... ألا يرى الأخ- أيده الله وأيد به- أن عليه أن يدخل الجماعة التي ندعوه، فإن وجدها عملية كما يجب فرت عينه وفرحت نفسه، وإن لم يجدها كذلك حملها بوضوح شخصية وقوة تأثيره على ما يجب من وسائل العمل، فإن لم تستقم له كان قد أعذر إلى ربه ونفسه ولعلمهم يتقون، ولا سيما إذا كان الذي يوجهون إليه هذه الدعوة قوم يعلمون أن لكل ذي رأي حقاً في إبداء رأيه، وأن المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو أصح الناس رأياً، وأنصحهم فكرة، وأكبرهم عقلاً أخذ برأي الخباب في بدر وبرأي سلمان في الخندق، وهم يفرحون بكل من يأخذ بفكرهم إلى العمل الصالح.

وآلا يرى الأخ كذلك أنه إن كان قد جرب مرة أو مرتين أو فوق ذلك فإن ذلك لا يبيئسه، ومن واجبه أن يعاود الكثرة مرات؛ حتى يظفر بأمنيته وبصافه بغيته، فإنه إن قنط فانه بذلك خير كثير)).

هل نحن قوم عمليون (بتصرف): أ/ البنا عليه رحمة الله].

* وكلمة للإخوان العاملين المجاهدين:

يقول الأستاذ البنا عليه رحمة الله في أول رسالة التعاليم:

((فهذه رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين، الذين آمنوا بسمو دعوتهم وقدسيتها فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا في سبيلها إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة، وهي ليست دروساً تحفظ لكنها تعليمات تنفذ، فإلى العمل أيها الأخوة الصديقون)).

﴿قُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْعَذَابِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 105].

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153]

أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومقالات، ومظاهر وإدرايات ولكل وجهة هو موليتها، فاستبقوا الخيرات، وكلاً وعد الله الحسنی.

[التعاليم: أ/ البنا عليه رحمة الله]

ثم يستعرض الأستاذ البنا عليه رحمة الله أركان البيعة العشرة فيقول:

أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها:

(الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والنبات والتجرد والإخوة والثقة)).

م يأخذ الأستاذ البنا عليه رحمة الله في شرح تلك الأركان حتى يصل إلى ركن الثقة فيقول:

وأريد بالثقة: اطمئنان الجندي إلى القائد في كفاءته وإخلاصه اطمئناناً عميقاً ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65].

والقائد جزء من الدعوة ولا دعوة بغير قيادة، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة، وإحكام خطلها، ونجاحها في الوصول إلى غايتها وتعلمها على ما يعترضها من عقبات وصعاب. ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: 20-21].

وللقبادة في دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة، ودعوتنا بجمع هذه المعاني جميعاً.

النقطة بالقيادة هي كل شيء في نجاح الدعوات، لهذا يجب أن يسأل الأخ الصادق نفسه هذه الأسئلة ليتعرف مدى ثقته بقيادته:

1-هل تعرف إلى قائده من قبل ودرس ظروف حياته؟

2-هل اطمأن إلى كفايته وإخلاصه؟

3-هل هو مستعد لاعتبار الأوامر التي تصدر إليه من القيادة في غير معصية طبعاً قاطعة لا مجال فيها للجدل ولا للتردد ولا للانتقاص ولا للتحوير؟ مع إبداء النصيحة والتنبيه إلى الصواب؟

4-هل هو مستعد لأن يفترض في نفسه الخطأ وفي القيادة الصواب، إذا تعارض ما أمر به مع ما تعلم في المسائل الاجتهادية التي لم يرد فيها نص شرعي؟

5- هل هو مستعد لوضع ظروفه الحيوية تحت تصرف الدعوة؟ وهل تملك القيادة في نظره حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة.

وبالإجابة على هذه الأمثلة وأشباهاها يستطيع الأخ أن يطمئن على مدى صلته بالقائد، وثقته به، والقلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء.

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِنَنَّا فُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بِنَنَّا إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 63].

[التعاليم: أ/ البنا عليه رحمة الله]

أحبابنا:

هذه الدعوة المباركة، دعوة حبيبة تعلمنا فيها كل الفضائل وعشنا في ظلها في رعد السلام مع النفس والناس أجمعين نعمل لنهضتهم وسعادتهم، وقد تحامل علينا بعض قومنا يسفهنونا ولا نملك إلا حبهم ودعوتهم؛ لأن يراجعوا مواقفهم ويعودوا إلى الحق.

أما إخواننا فنقول لهم: صبرًا جميلًا ولنتضرع إلى الله العزيز الحميد أن يرزقنا الثبات حتى نلقاه سبحانه عاملين مجاهدين غير مبدلين أو مغيرين.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَسَجْرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* نُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَتَصْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ* وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَسَجْرَةٍ خَبِيثَةٍ أَجْنَثَةٌ مِنَ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ* يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 24-27].

* كاتب المقال من الإخوة المسجونين في القضية العسكرية رقم 2 لسنة 2007م.

<https://www.ikhwanonline.com/article/57912>